نساء و بيل

قصة البرتو مورافيا

ترجمة : سميحة حسنين

في بداية الصيف ، الفى «جياكومو» نفسه وحيدا على عكس ما توقع ، فقد ذهب عنه الاصدقاء لقضاء أجازاتهم بعيدا وبقى هو ليعيش فى دائرة حدودها البيت والمقهى وأفكاره التى تصور له حاله اذا ماتقدم به العمر أكثر ، وأصبح فى مرحلة الوداع ٠

كانت حياته اليومية تبدأ فى ساعة متأخرة من النهار ، ويظل يقرأ ويدخن فى الحجرة التى استأجرها باحدى الشقق ، ويخرج بعد ذلك ليحتسى قهوته فى أحد المقاهى ، ثم يشترى الصحيفة ويلقى عليها نظرة عجلى ٠٠ ويعود مرة أخرى الى الحجرة ليعاود قراءة الصحيفة الى أن تسقط من يده، ويروح فى النوم ، وبعد الظهر يستيقظ ليغتسل ويرتدى ملابسه ثم يخرج الى المقهى مرة ثانية ٠

وذات يوم ، خرج «جياكومو» كعادته الى المقهى الذى كان يقع فى أحد الشوارع الكبرى بالمدينة ٠٠ وجلس يرقب الناس حوله على الموائد الاخرى خارج المقهى كان بعضهم يحتسى البيرة الالمانية التى يعشقها هو ٠٠ أجمل البنات والشبان يلتقون فى هذا المكان ، الذى يرتاده وجهاء المدينة كلهم تقريبا ، كان يرشف البيرة المثلجة وهو يرقب كل هذا ، نساء فى أبهى زينتهن والسجائر بين أصابعهن يتنقلن بين الموائد ويضحكن ويتحدثن بصوت عال ٠٠ «الجرسونات» يجدون مشقة فى السير بالطلبات وسط هذه الموائد المزدحمة ، وكان يسمع النكات تنطلق من هنا ومن هناك حوله ٠٠ والاسرار تفقد سريتها على السنة الجالسين الذين نسوا انهم فى مكان عام ٠

كان يحس بأنه دخيل على هذا الجو ونظر حوله ٠٠ الى كل شىء وقد سقطت عليه ظلال الاشجار المورقة الواقفة فى ثقة وشموخ ، وبعد قليل ، بدأ الناس يتفرقون والجرسونات ينظفون الموائد ويرفعون الاستار الحاجبة لضوء الشمس وكان هو قد فرغ من احتساء زجاجة

البيرة ، وكعادته طلب الثانية ، ولما غابت الشمس نهض من مجلسه ، وعاد الى حجرته .

وفى المساء عاد جياكومو الى المقهى نفسه ، وجلس يرقب نفس المشاهد تقريبا ، استعراض ومباهاة ، نفس الجو الاجتماعى الذى كان يرقبه منذ ساعات قلائل، ولكن هذه المرةعلى ضوءالمصابيح الكهربائية وفى نطاق أضيق ، وطلب «شوبا» مملوءا بالثلج المجروش وجلس يأكله فى بطء وبعناية كما لو كان قد استؤجر ليقوم بهذه العملية ، وخلال ذلك كانت عيناه ترقبان المارة ، وأحس فجأة بنوع من البرودة الشديدة ، وبدا معها الفراغ يتسلل الى أعماقه ، حتى انه لم يستطع ـ فى تلك اللحظة ـ أن يقنع نفسه بأنه سيد وحدته ، وأصيب بحالة قلق دفين جعلت قلبه يغوص ، فقد أحس بأن نهمه فى شرب البيرة ، وأكل الثلج المجروش ماهو الا نوع من الخداع يخفى وراءه حقيقة آلامه ، وهى انه لايستطيع أن يفعل شيئا أكثر من هذا ، وانه لايستطيع أن يعيش حياته بعمق كما يعيشها الجالسون من حوله ، وأحس بألم دفين جعله يعقد العزم على أن يخرج نفسهمن هذه الدائرة المحدودة قبل أن ينتهى الصيف ، وأن يتخلص من هذه الوحدة التى أصبح عبدا لها .

وفى احدى الليالى .. بينما كان عائدا الى حجرته ، بعد ان انهى جلسته المعتادة على ذلك المقهى ، جذبت عينيه أضواء خافتة منبعثة من نافذة صغيرة للمهى فى نهاية الشارع ، وتذكر فى تلك اللحظة ماكان يسمعه عن مثل هذه الأماكن التى تتجمع فيها النساء الباحثات عن المغامرات العاطفية ، وأثار ذلك الخاطر فى نفسه رغبة فى الذهاب الى ذلك المكان علّه يجد احداهن يقضى معها ليلته .

وفعلا وصل الى الملهى ونزل بعض الدرجات ثم فتح بابا زجاجيا ، فالفى نفسه داخل بار شبه مظلم ، ورائحة الطباق الممزوجة بحرارة الصيف جعلت الجو فى الداخل غير مستحب .. وامام الأرفف المزدحمة بالزجاجات ، وقف «البارمان» بوجهه الاحمر القانى وكأنه مصاب بنوبة جعلتكل دمائه تتدفق الى رأسه ، ولكنه كان يتحرك آليا : يداه تنزلقان على البار الزنكى ، من جهاز صنع القهوة الى صنبور المياه ، الى وعاء الزيتون والى كل متطلبات مهنته .

لم يجد جياكومو شيئا يفعله سوى أن يجلس على احدالمقاعد ويطلب مشروبا ولم يكد يفعل ذلك ويجول بعينيه حوله ليكتشف ما تحت هذا السقف المنخفض، حتى تبين ان ما يبحث عنه ليس فىالبار انما فى الحجرات الصغيرةالتى بالمؤخرة حيث كانت كل منها تضم مقعدا يتسع لشخصين .. وكانت المقاعد جديدة ومثبتة فى فجوة بالحائط ، وكلها خالية الا واحد منها حيث كانت تجلس عليه امرأتان ، لم يستطع جياكومو أن يحدد ـ لاول وهلة ـ أى نوع منالنساء هما ، اذ لم تكن ملابسهما تدل على شىء كانت الاثنتان شقراوين ، احداهما أصغر سنا من الاخرى بحوالى سبع سنوات أو ثمان ، شعرها مرسل على كتفيها .. ذات عينينزرقاوين واسعتينوأنف دقيق

وشفتين ممتلئتين ، لاتضع شيئا من المساحيق على وجهها الذى كان يبدو فى صحة جيدة ·· كانت ترتدى «بلوزه» تكشف عن ذراعيها ، بينما وضعت سترتها بجوارها ·

أما المرأة الكبرى ، فكان شعرها مصففا بعناية ، تضع على رأسها قبعة تخفى جانبا من جبهتها ·· عيناها ملونتان ولكنهما ضيقتان ومتقاربتان ، نظراتها تبدو عميقة من تحت جفنيها المتدليين اللذين يفضحان حقيقتها ·· وكل شىء فى وجهها مغطى بطبقات من المساحيق جعلتها تبدو لاول وهلة أجمل من رفيقتها ، لكن جمالها الصناعى هذا لم يكن مبتذلا رغم كل شىء ·

ومن النظرة الثانية ، اختار جياكومو الصغرى ، لا لشىء ، الا لانها أقرب الى الطبيعية ·

كانت المرأتان تجلسان دون حراك ، لاتنبسان ببنت شفة ، وكانت نظرات جياكومو موجهة صراحة الى ذات القبعة بينما كان ينظر الى الاخرى بطرف عينه ولمح ما أكد له انهما عاهرتان ، وهو ما حاولت المرأة الكبرى التظاهر به من عظمة رغم يديها القبيحتين الملقاتين على المائدة·· وأظفارها المطلية باللون الاحمر الفاقع ·

وأفاق جياكومو على صوت «البارمان» يعلن انه قد أحضر المشروب ، وفى الظروف العادية ماكان جياكومو ليجرؤ على سؤال الرجل عن المرأتين ، لكن بعد أن اتضحت له حقيقتهما ازداد شجاعة وساله فى شىء من الاضطراب عنهما ·

ودون أن يرفع الرجل رأسه أو يتوقف عن تنظيف البار قال :

ـ لا أعرف ياسيدى ، لقد كانتا هنا ليلة أمس ولكننى لم أرهما من قبل ·

وتبين من لهجته فى الاجابة انهما من ذلك النوع من النساء الذى يبحث عنه هو فى تلك الليلة ، فنهض وقال للبارمان :

ـ آتنى بكأسى الى تلك المائدة ·

قال ذلك ثم انتقل الى مائدة مجاورة للمرأتين ، وجلس ومعه نفس النظرات نحوهما ، ولم تستطع الاولى ان تواجه نظراته الصريحة فأرخت عينيها ، بينما رمته زميلتها التى كانت من قبل تتجاهل نظرته غير المباشرة ، بنظرة وقحة من طرف عينيها الرمادية ، وخيل اليه أن المرأة ذات القبعة لم توافق على نظرة زميلتها اليه ، واحضر البارمان كأس جياكومو ثم انصرف تاركا الثلاثة فى خلوة تامة ·

وتكلمت الصغيرة بصوت مسموع قائلة :

ـ يبدو أن صديقك السافل لن يحضر ·

ـ هش !

قالتها بضيق دون أن تتحرك ·

ـ ولم أسكت ؟ ! اننى أكرر انه اذا لم يأت فانه يكون سافلا ·

ـ حسن · ولكن لم تصيحين هكذا ؟!

قالت ذلك دون أن تتحرك وكأنها تخشى أن تسقط قبعتها من رأسها ·

ـ ومن الذى يصيح ؟

ـ انت ·

ـ حسنا ·· لن أتكلم ·

ولكنها عادت فتكلمت بمرح كان شيئا لم يكن ، حتى أن جياكومو اعتقد أنها تحاول جذب انتباهه ، فقالت للأخرى :

ـ سيجارة من فضلك ·

وكان جياكوموأسرع منالمرأة الاخرى فقدم الى الصغرى السيجارة المطلوبة من علبته ، وترددت هى أولا ، لكنها عادت فأخذت العلبة كلها وناولت سيجارة لرفيقتها التى كانت حائرة بين رغبتها فى التدخين واستيائها من تصرف الاخرى ، ثم قالت :

ـ ليس من اللائق أن نأخذ سيجارة من شخص بهذه السرعة ، وقبل أن نعرفه ·

وبعد أن قرأت ماركة السيجارة وضعتها فى فمها ، وكما تفعل السيدة الراقية أومأت الى جياكومو ليشعل لها السيجارة بينما كانت الصغرى ، قد أشعلت سيجارتها بنفسها ، وبدأت تنفث الدخان من أنفها ·· فاتجه جياكومو الى المرأة الكبرى وهو يقول :

ـ الجو هنا حار ، أليس كذلك ؟

ويبدو أن هذه الملاحظة قد اسعدت المرأة كثيرا ، لانها اعتبرتها نوعا من الاحترام تجاهها ·

ـ شنيع ·

ـ قالتها فى لهجة باردة ثم سحبت نفسا من سيجارتها ونفثته وهى تمعن النظرفى ماركة السيجارة وواصلت بعد ذلك كلامها :

ـ انى لاأذكر ان الجو كان سيئا هكذا أبدا ·

ـ اننى أتصبب عرقا من كل مكان·

ـ هكذا كان تعليق الصغرى بينما كانت تضحك وترفع يدها لتظهر تحت تحت ابطها وعندئذ ظهر صدرها ، ثم واصلت كلامها :

من الصعب التنفس فى هذه القاعة·

ويبدو أن الكبرى لم ترض عن هذا العرض الذى قدمته رفيقتها ، فرمقتها بنظرة صبيانية ، ولكن الصغرى لم تعبأ بذلك ونظرت الى جياكومو وقالت :

ـ هذا المكان لطيف جدا فى الشتاء ، لكن فى الصيف يستحسن أن يذهب المرء الى الاماكن المفتوحة ·

ـ نعم انها أفضل ، ولا سيما تلك التى بالحدائق ·

فقالت الصغرى بسرعة :

ـ حيث نذهب «دائما» ·

وقاطعتها الكبرى قائلة :

ـ ماذا تعنين بكلمة «دائما» ؟

ـ كل الوقت ··

ثم نفضت رماد سيجارتها واستطردت :

ـ باستثناء هذه الليلة ·· اننا ننتظر صديقا ·

فضحكت الصغرى وهى تقول :

ـ نوعا غريبا من الاصدقاء ·· لانعرف عنه شيئا ·· حتى اسمه ·

ـ ماذا تقولين !؟ انه يدعى مليشى · قالت الكبرى ذلك دون أن تتحرك ،

فضحكت الصغرى مرة أخرى وقالت:

ـ انه اسم صاحب البيت ·

فالتفتت الكبرى الى جياكومو وقالت:

ـ ان أختى تحب الضحك والتنكيت ·

ـ اننى لاأنكت اطلاقا ، فهو ليس صديقا لها أو لى ، بل اننا قد عرفناه من الشارع ·

والتمعت عيناها وارتعش انفها ، وبدا صوتها صارخا وهى تعلن هذه الحقيقة ، والتفتت الكبرى الى جياكومو الذى كان يفهم حديثهما ، وقالت :

ـ فى المرة الاولى كنا فى مقهى، وجاء الينا وسألنا بأدب عما اذا كان يمكن التحدث الينا ·· تماما كما فعلت أنت الآن ·

والتفتت الى رفيقتها وقالت :

ـ ماذا سيقول عنا هذا السيد اذا تماديت فى هذا الكلام ؟

وظلت الصغرى تضحك وترتمى على مسند الكرسى حتى احمر وجهها من شدة الضحك ثم قالت :

ـ لقد ظن ذلك وانتهى الامر ·· دعك من هذا والا لما كان قد أتى الى هنا وعلى وجهه هذا التعبير ·· أليس كذلك يامستر ··· ؟ ماسمك ؟ على أية حال بالامس لم نسأل ···

ـ اسمى جياكومو ·

قالها وهو فى حالة من الفرح الممزوج بالتأثر واستطرد قائلا :

ـ نعم ، لقد جئت الى هنا ، وانا متأثر ببعض الافكار ، ولكن من الممكن أن أكون مخطئا ·

ـ أبدا لست مخطئا على الاطلاق ·

ثم ضحكت فسألها عن اسمها ، ولكن الكبرى تدخلت لتجيبه قائلة :

ـ رينا ·· واختى لورى ·

فضحكت الصغرى وهى تقول :

ـ ان اسمك ليس رينا أبدا ، بل تريزا ، واسمى ليس لورى ، بل جيوفانا

ـ انا أحب رينا ولورى أكثر لانهما أقصر ·· اعتقد أن هذا يكفى يالورى ·

ـ ألا يستطيع أحد أن يضحك ؟

ـ لاشىء فى الضحك ، لكن صوتك مرتفع وسوقى ·

ـ أنا لست كذلك ·

قالتها لورى بطريقة جدية ، كأن ملحوظة رفيقتها قد مستها فى الصميم

وأراد جياكومو أن يوقف هذا النقاش فقال :

ـ وما اسمك الآخر ؟

– بنيجاتى ·

قالت رينا ذلك ثم أسبلت جفنيها ، وأراد هو أن يرفه عنهـــا بعض الشيء فقال :

– هناك مدينة فى سيسيلى اسمهـا كانكاتى ·

– لا انها بنيجاتى ·

– واين ولدت ؟

–نحن من فيرونا ·

فقاطعتها الصغرى قائلة :

– نحن أصلا من مولو ، لكنها لاتحب أن تذكر ذلك لان الاسم يذكرك بمـواء القطط ·

– هل تودان شيئا من الشراب ؟

فقالت الصغرى بحماس بالغ :

– نعم ·· شمبانيا ·· شمبانيا ·

– اقترح أن نذهب الى مكان آخر ·

وعلى الفور التقطت الكبرى قفـازها وبدأت تلبسه ·· ونهض الثلاثة لمغادرة البار ، وتوجه هو ليدفع الحساب فسأله «البارمان» :

– هل ستدفع حساب ثلاثة ؟

– نعم واعطنى أيضا علبة ســـجائر مصرية ·

***

وخرج الثلاثة الى الشارع العريض ، حيث تلقى الاشجار المورقة ظلالا كثيفة على كل شيء ، وأشعة القمر تعكس ظلال ثلاثتهم على أسفلت الطريق وعلى الجانبين وورود صفراء بدت فى ضوء القمر كأنها خيالات ، وسألهما جياكومو :

– أين تفضلان الذهاب ؟

فاجابت الصغرى على الفور

– أى مكان نستطيع أن نشرب فيه ، فأنا لم أشرب منذ فترة طويلة وعطشى كالـ ····

– ما رأيكما فى سبلندر بار ؟

فعارضتها الصغرى بحجة انه مكان خانق فاقترح جياكومو ان يذهبـوا الى «انكوس مارثيوس جروتو» ، وهو ملهى لايبعد كثيرا عن المكان الذى خرجوا منه وهو مزخرف بطريقة تجعله يبدو كمكان أثرى ، به أعمدة ومنحنيات مظلمة تمكنه من الجلوس معهمـــا فى راحـة تامة ، وتأبطت الصغرى ذراعه وســاروا فى اتجاه المكان المقترح ، وتساءلت :

– ولكن من يكون انكوس مارثيوس هذا ؟

– انه أحد ملوك روما القديمة ·

وســـاروا على مهل فى الطريق الخالى حتى وصلوا الى طاقة مفتوحة فدخـلوا منها ·· واسفل مجموعة من الدرجات وجدوا صخرة سوداء مهـدمة ، وما أن تقدموا خطوات قليلة ، حتى أحســوا برائحة الدخان الممزوجة برائحة النبيذ تتسلل الى أنوفهم ، وأصوات النـــاس والموسيقى تنبعث من المـــكان · وفى الداخل كانت الموائد متنـــاثرة فى غير انتظام عليها الـكئوس والزجاجات ، وحولها الناس، وكان المكان فى الداخل بأعمـــدته الرومانية الطراز يبدو كأنه

قاعة رومانية كبرى، لكنها متطورة بعض الشيء ، وصاحت لورى وهى تصفق :

ـ مدهش ! انه يشـــــبه ... ماذا يسمون ذلك المكان الذى تعود المسيحيون القدماء أن يلتقوا فيه ؟

ـ الرمس أو القبو كما أعتقد .

ـ أجل ، أجل القبو .

ومر الثلاثة بين الموائد ، لم يهتم بهم أحد ، فقد كان صوتهم وهم يمرحون ، ويشربون ، مرتفعا تعكسه جدران القبو وقال جياكومو وهو يشير الى مائدة فى مؤخرة القاعة :

ـ تعالوا بنا الى ذلك المكان .

وساروا بين الموائد المتراصة بالقاعة الرئيسية ، ومنها الى دهليز ضيق ذى جدران من الطوب الاحمر .. ومنه الى حجرة أصغر ، مزينة بطريقة تفوح منها رائحة التاريخ : لوحات غير مستكملة تمثل نساء عاريات ، ومصابيح حديدية تتدلى من السقف .. وأخيرا جلسوا : هو فى الوسط ، وعن يساره الصغرى، وعن يمينه الكبرى ثم سألهما عما تودان شرابه فقالت لورى :

ـ أى شيء جيد جدا .

لكن أختها قالت :

ـ اننى أفضل مشروبا معينا ، ولكن يبدو انه غير موجود هنا .

ولكن الجرسون الذى كان يقف الى جانبهم رد عليها بسرعة :

ـ عندنا شانتى ابيض وأرفيتو ونبيذ

ـ ماذا عندكم من النبيذ الحلو ؟

ـ مارسالا ، باسيتو ، اليتيكو ..

ـ آتنا ببعض الاليتيكو .

واستأنف جياكومو حـــديثه الذى انقطع :

ـ اذن انتما من مولو .

فقالت الصغرى :

ـ نعم ، لكننى أعيش فى ميـلانو ، وأختى تعيش هنـــا ، وبين وقت وآخر نتبادل الزيارات .

فقالت رينا : أنا لا تعجبنى ميلانو ، فالشتاء فيها غير محتمل لدرجـة أننى أمرض .

فقال جياكومو :

ـ لماذا ؟

فأجابت وهى تتحسس صدرها :

ـ لاننى حساسة .

ولاحظ هو صدرها المتكامل ، لكن نظرتها الغائرة من تحت جفنيها المتدليين جعلت هذا الامر يثير حب استطلاعه .

وقالت الصغرى :

انها تكذب ، فهى لاتحب ميلانو ، لانها على علاقة حب هنا .

ـ وماذا يعمل هو ؟

فردت الكبرى بنفس التصنع الذى يؤكد انها من بنيجاتى :

ـ انه من رجال الاعمال .

وقالت الصغرى وهى تمسك انفها

كأنها تمنع عنها رائحة كريهة ، انه بائع جبن .

ووصل الجرسون وفتح جيـــاكومو الزجاجة وصب لهما كأسين من النبيذ ، فقالت الصغرى :

ـ ان النبيذ جيـــد ، ثم التفتت الى جياكومو وهى تقول : وحلو أيضا .

فقـــالت الاخرى كى تؤكد حسن اختيارها : انه اليتيكو .

وصب جياكومو كأسه المملوءة دفعـة واحدة فى فمه ثم ملأها مرة أخرى .

وكانت المرأتان قد فرغتا من كأسيهما فأعاد الكرة حتى فرغت الزجاجـــة ، فواصل كلامه :

ـ واين صديقك الآن ؟

فأجابت الصغرى وهى تضحك : انه فى الطريق .

وقالت الكبرى لاختها : لا تتحـدثى عنه بهذه الطريقة ، فأنت لاتعرفينـه .

وكانت الخمـــــر قد دارت برأس جياكومو ، فقرر أن تكون الـكبرى هى ضالته ، وبحركة لاشعورية وضع يـده على ركبتيها من تحت المـائدة ، فنظرت اليه نظرة ملؤها النفاق وقالت له :

ـ ولكن من أين أنت ؟

ـ من انكونا .

وبحركة عنيفة أزاح طرف ثوبها .. وتقدمت يده تتحسس الى أعلا « أستك الجورب» الذى كان يحز على فخذهـــا وجعله يكاد ينفجر ، ثم فك أزرار الثوب وتقدم أكثر فأحس بنعومة ملابسهـــا الداخلية الحريرية ، بينما واصلت هى حديثها ولم تحاول ابعاد يده ، وكان ما يحدث لايعنيها : انها مدينة جميلة .

وفى تلك اللحظة كان ثوبهـــا قد انزاح عن ساقيها ، فصاحت الصغرى :

هل تعتقدان اننى لاأراكما ؟ ولكن مع ذلك استمرا .

فسحب جياكومو يده ، وبعد لحظـة أحس بندم فأعادها ثانية الى حيث كانت ولكى يكون عادلا ، وضع يده الاخرى حول خصر الصغرى، فنظرت اليه بطرف عينيها وهى تضحك ، وكأسها ما تزال فى يدها ، ومال عليهـا ولثم عنقها .. فجذبت الكبرى يده وأبعدتها ثم أسدلت ثوبها ولم تفعل ذلك لانها غاضـــبة من تصرفاته مـــع الاخرى ، بل لان بعض الرواد كانوا قد مروا بجانبهم .

فسألها هو: وماذا تفعلين فى ميلانو؟

فضحكت لورى وقالت : ماذا أفعل ؟

وتدخلت الكبرى لترد بدلا منهـا : انها « موديل » .

وقالت لورى بتأن بالغ : نعم لقـد تعودت أن أكون كذلك ، لـــكننى الآن أفعل كما تفعلين أنت هنا .

وانزعجت الاخت الكبرى من هـذه الاجابة فقالت :

ـ ماذا تقولين؟ هل تودين أن تنسبى الى نفسك عملا لست قادرة على اتيانه ؟

ـ وماذا تعرفين انت عن هذا العمل؟

قالت لورى بتهكم : وماذا تفعلين أنت اذا سمحت لى أن أسألك .

كانت تبـدو ثملة بعض الشيء وهى تسأل أختها هذا السـؤال ·· وكانت عيناها الملونتـان اللامعتان ترمسان بين لحظة وأخرى ·

ـ أنا لا أعمل شيئا ، فأنا سـيدة للهو ·

ـ وماذا تعرفين عن هذا الامر ؟ وعلى كل فأنا أمارس نفس العمل ·

فوجهت اليها شقيقتها نظرة كالخنجر لكنها لم تتكلم ، ثم نظرت الى جياكومو وقالت محذرة :

ـ اذا شجعتها على المضى فى الشرب فلن تعرف ما تقوله ·

وربت هو على رجل لورى وقال لها :

ـتعالى ·· تعالى ·

لكنها لم تتحرك ،فتشـجع وارتفع بيده الى أعلى بعض الشيء ، لكنها ألقت رجليها مضمومتين ، فتوغلت يده أكثر فأكثر ولم يجد أى أثر لملابس داخليـة أو أى شيء من هذا القبيل ، وجذبتـه النعومة ، فزحفت يده شيئا فشيئا دون أن يعوقه شيء مما ترتديه الكبرى ،حتى وصل الى بطنها المستديرة ، ولاحظ أن الفتاة عارية تماما الا من الثوب الخارجى ودون أن توقف لورى اليد الزاحفة الى جسدها ، واصلت صياحها مع رفيقتها :

ـأنا لاأختلف معك فى هذا ، لكننى لاأتظاهر بأننى أعيش مع رجل واحد ، وفى الوقت نفسه ، أغرى كل ليـلة شخصا غريبا ·

وحملقت الكبرى فى رفيقتها بعينيها الضيقتين ، من تحت قبعتها المتدلية على جبهتها ، وكررت ماقالته الصغرى ، فى صوت أقـل حـدة ، ثم التفتت الى جياكومو قائلة :

ـ وانت ، دعك قابعا فى مكانك ·· ألم أقل لك لا تشجعها على الشراب ؟

وفى نفس الوقت كان جياكومو فى حالة سكر شـديد ، ليس بفعل الخمر فقط ، بل ومن أثر لمسه لجسد الفتـاة الصغرى ، فأصبح هو عصبيا نوعا ما ، فلم يرد عليها ، بل التفت الى الصـغرى وقال : مارأيك لو خرجنا ·· انا وانت وتركناها هنا ؟

لكنه دهش حينما أبدت لورى ولاء غير متوقع لشقيقتها اذ قالت له :

ـ سلهـا فهى التى تقرر كل شيء حينما أكون فى ضيافتها ·

فالتفت الى الكبرى وخفض صوته ، لاخشية أن تسمعه الفتاة لكن لكى لا تسمعه وهو يقول لها :

ـ مارأيك لو خرجنا من هنا·· كنت أفكر فى اننى يجبأن أذهب باحداكما·

ـ لا ·· ليس بواحدة ، اما بكلتينا ، والا فلا ·

ـولم لا ؟

ـ لان هذا هو مانفعله دائما ·

ـ وماذا أفعل بامرأتين ؟

وهنا ساوره الشك فى كونهمـا شقيقتين ، وكم تريدان كلاكما ؟

ـ عشرون ألف ليرة ·· عشرة آلاف لكل منا ·

ـ أجل ٠

وســـاروا عبر الموائد الى السرداب المقبب حيث رنت خطواتهم فى آن واحد وحيث كان الهواء أكثر ثقلا وتشبعـــا بدخان السجائر عنه ساعة وصولهم ٠٠ وأحس هو بأنه قد شرب أكثر مما يجب وفى الخارج كانت الحرارة شـــديدة ٠٠ والهواء ساكنا ، وأضواء المصـابيح فى الشارع تبدد كتل الظلمات الراقدة فوق أوراق الشجر :

ـ يجب أن نجد سيارة أجرة ٠

قالت الكبرى ذلك وكأنها خارجة من حفل خاص فخم ٠٠ ثم ساروا الى الميدان القريب، لكنهم لم يجدوا أى أثر لسيارة أجرة ، كان هو يتوسط الاثنتين وهمـا متعلقتان به تقودانه ، ثم سألهما :

ـ وأين منزلكما ٠

فقالت الصغرى ، وهى تكتم الضحك

ـ تذكر قداسة البيت !

وذكرت الكبرى العنوان، وكان البيت فى أحد الشوارع بضواحى المدينة ٠

ـ اذن فلنركب الأتوبيس حتى آخر الخط ، ومن هناك نركب الترام ٠

وفى الواقع لم يكن هناك شىء يفعل غير ماأشار به جياكومو ٠ ولحسن الحظ وصل الأتوبيس فى نفس اللحظة فركب الثلاثة ، وجلسوا ودفع جيـــاكومو لثلاثتهم ، جلست الكبرى على مقعد ٠٠ والاثنان على مقعد آخر خلفها ، وحينما تحركت السيارة ، قالت الصغرى بصوت عال : ألم يكن من الأفضل أن نبحث عن فندق مناسب بدلا من قطع كل هـــذه المسافة الى البيت ، لكن الفنادق هنـــا كثيرة اللغط ، انا أعرف فندقا فى ميلانو لايسألونك فيه أى سؤال ، حتى انهم لايطلبون تأمينا للحجرة٠٠ وتلفت الناس تجاه جياكومو ومرافقتيه ، لكن الوقت كان متأخرا ، وهم فى حالة من التعب لاتمكنهم حتى من الابتسام ، واندفعت السيارة دون تعثر فى الشوارع الضيقة ذات القصور الناتئة على الجانبين والتفتت الكبرى اليه وقالت له بصوت مؤكد :

ـ كم من الوقت تعتزم البقـاء ؟ ان زوجتك ستفتقدك ، انهـــا لاتراك كثيرا بسبب كثرة أسفارك ٠٠ أليس كذلك٠

وقالت الصغرى : زوجته ؟ هل انت متزوج ؟

فضحك هو وأمسك بيدها وقال : نعم متزوج بك ٠

لكنها سحبت يدها ، وهمست قائلة بحدة : خذ بالك فان أختى تنظر الينا ٠

ـ مرحى على قداسة بيتكما ٠

نعم ثلاثة انخاب فى قداسة البيت ٠

ونظر اليهم أغلب الركاب وفى عيونهم حب استطلاع بالغ والتفتت الـــكبرى اليهما وقالت : ألا تستطيعان البقـــاء صامتين لدقائق ؟

ـ أنا حرة فى أن أتكلم وقتما أحب ٠

لقد كانت هـــذه الاجابة كافية لان تعتدل المرأة الكبرى وتدير لهما ظهرها وحاولت أن تبدى عدم اكتراثها بهما على الاطلاق ، ففتحت حقيبتها وأخذت تضع المساحيق على أنفها ، وفى المرآة التى بيدها استطاع جياكومو الذى يجلس خلفها أن يلمس مدى سوء حالتهـــا

النفسية من خلال عينيها .. وتوقف الأتوبيس فى نهاية الخط فى ميدان مظلم ومن خلال أوراق الشجر المظلمة استطاعوا أن يروا أضواء الترام ، فقالت الكبرى وهى توسع خطواتها :

ـ هذا الترام سيوصلنا . .

كان الترام كامل العـــدد تقريبا ، لكنهم استطاعوا أن يجلسوا كما كانوا فى الأتوبيس ، وبعد محطتين ركب رجل فى حوالى الخمسين من عمـره ذو أنف مخروطى الشكل ، وشعر رمادى ، كان يرتدى حلة سوداء وقميصا أبيض وربطة عنق سوداء ، ثم جلس بجوار رينـا ، ورفع قبعته قليـلا عن رأسه حيث بدت كالغطاء فوق الوعاء .

وقال جياكومو للفتاة التى بجواره :

ـ متى تعودين الى ميلانو ؟

ـ ليس قبل مضى فترة من الوقت ، فانا أريد أن أتمتع هنا لان أختى تأخذنى الى أحسن الأماكن ، لكننى لم أذهب بعد الى مطعم رجال الاعمال ، مع اننى سمعت انه أفضل المطاعم .

وهنا اعتدلت اختها فى جلستهـا ، لكنها لم تنظر اليهما .

ـ نعم انهم يقدمون فيـــه أفضـــل الأطعمة .

ـ قلت اننى أود أن أمتع نفسى . . ما اسم ذلك الملهى الذى يقدمون فيـــه الاستعراضات الضاحكة ، وبين الفقرات تستطيع أن ترقص على الارض .

ـ الجنة .

ـ لقد زرته مرة مع رجل من الجنوب وكان كريما جدا .. ما رأيك لو ذهبنا اليه فى احدى الأمسيات ؟

ـ ولم لا ؟

ـ اننى مغرمة بمثل هذه الاماكن .

ـ . . . . .

ـ هل ستبحث عنى اذا ما حضرت الى ميلانو ؟

ـ وما عنوانك ؟

ونظرت اليه باسترخاء الســـكارى وقالت : سأعطيك عنـــوانى بالضبط تستطيع أن تأتى حينمـــا تشاء ، فانا لاأومن بقدسية البيت .

وهنا التفت الرجـــل ذو الحـــلة السوداء ورمقهما بنظرة فاحصة ، بينما كانت رينا جالسة متصلبة الاكتـــاف والرقبة دون أن تحركها هزات الترام ، وبعد فترة صمت واصلت الفتاة كلامها:

ـ لقد أثر نبيذك على رأسى .. انه جيد كال ...

وتوقف الترام بالمحطة فنهضت رينا دون أن تكلمهمـا واتجهت الى البـــاب ووقفت تنتظرهما ، وفى نفس اللحظة مر بها الرجل ذو الحلة السوداء ، وكما تعمل ساعة دخوله ، خلع قبعته فأحنت رأسها برقة كأنها تشكره على هذه اللفتة من الاحترام بعد ماسمعه من شقيقتها .. وسألتها لورى :

ـ أنت ذاهبة ؟ (ثم وهى تنهض) آه أهذه هى محطتنا ؟ .

ـ . . . . .

وخرجت رينا وجياكومو وتبعتهمـــا

لورى ·· وتحرك الترام وبقى الثلاثة فى منتصف الميدان الاسفلتى الواسع وحولهما أشجار عالية ونوافذ تنبعث منها أضواء خافتة ، وفى مواجهتهم طريق على جانبيه صفان من المصابيح الكهربائية يقود الى منطقة غير منزرعة ، حيث تقف مجموعة من المبانى فتساءلت الفتاة :

هل منزلنا هناك ؟ اننى لم أتعرف عليه ·

وانتظرت الكبرى الى أن ذهب الرجل ذو الحلة السوداء فصاحت فيها بغضب:

ـ نعم ·· هذا هو منزلنا ، لكننى لا أريدك ان تبقى معى ·

ـ ولم ؟ ماذا حدث ؟

ـ لقد أخبرتك مرارا وتكرارا ، انك يجب أن تتصرفى بأدب فى المنطقة التى أعيش فيها ·· وفى الترام الذى أركبه يوميا ، لاأن تتمادى هكذا ، وتتكلمى كلاما فارغا طوال الطريق ·· وبهذا الصوت المرتفع ·

ـ وماذا قلت !

ـ كل واحد فى الترام يعرفنى ، ماذا يظنون بى ؟ هل رأيت ذلك الرجل الذى كان يجلس بجوارى ؟ انه مستر بيكيو المحامى الذى يسكن نفس العمارة وفى نفس الطابق ، سوف يقول ان أختى عاهر تحضر معها الرجال الى البيت ·

ـ وماذا يضيرنا ؟

ـ الامر هام بالنسبة لى ، فأنا لاأحب أن يغتابنى الناس ·

ووقفت الصغرى منتصبة ويداها على مؤخرتها وهى تقول : انظرى هنا ··

انظرى هنا ، ما معنى كل هذا الضجيج ان كل مايقوله جيرانك أقل من الحقيقة اذهبى وحدك ·

ثم التصقت بجياكومو ·

ـ حسنا ·· ولكن هذه هى آخر مرة أدعوك فيها لزيارتى ·

ثم ساروا قليلا صامتين ودخلت رينا احدى العمارات الكبرى ، والتفتت نحو جياكومو وقالت بهمس وهى تضع المفتاح فى الباب :

أستحلفك بالله أن تحافظ على الهدوء

وساروا فى ردهة ذات افريز رخامى اسود على طول الارض ومجموعة مصابيح كهربائية معلقة على الجدران ·· ثم دخلوا حجرة بجوار السلم ، والتفتت رينا اليهما وهما يدخلان وقالت :

ـ بهدوء ··

وبعد أن أغلقوا الباب خلفهم أضاءت مصباحا بداخل صندوق زجاجى أبيض وبدت الشقة مفروشة على أحدث الطرز فى كل مكان وضعت قطع الأثاث المخروطية الشكل أو المربعة ·· ومصابيح كهربائية وموائد زجاجية وكراسى اسطوانية القاعدة ، وصحبت رينا جياكومو عبر ممر ضيق وهى تقول : يجب أن نذهب الى حجرة النوم مباشرة ·

كانت حجرة النوم صغيرة ، الفراش المزدوج يحتل أكبر حيز فيها ، وملاءة السرير مزينة برسومات على شكل دوائر متداخلة متعددة الالوان من الازرق الفاتح الى البنفسجى والاحمر والبنى ، ومن نفس القماش صنعت أغطية الكراسى ، أما الصوان فقد كان مكونا من مجموعات

متصلة ببعضها بمرآة فى الوسط وقد احتل جانبا من جدران الحجر باكمله تقريبا .. ومصابيح كروية الشكل على موائد منخفضة ، وكل شىء كان نظيفا تماما .. وبرغم الوان السرير المتعددة فقد كان الجو يوحى بالكآبة والحزن ، تماما كالفنادق المتواضعة الحديثة .

وخلعت رينا قبعتها بحذر ، ووضعتها فى الدولاب ، ثم ذهبت الى أحد الأركان وخلعت ثوبها وبقيت فى سروال «فيليه» أسود وبدا لجياكومو صدرها الضامر رغم امتلاء جسمها وضخامة أردافها واستدارة ساقيها ، ولم يعرف كيف يتصرف .. لكنه تقدم منها ووضع يديه حول خصرها وجذبها اليه ، فسمحت له بتقبيلها ثم قالت :

ساعد الفراش .. يمكنك أن تخلع ملابسك فى الحمام اذا أردت .

ثم انحنت لتنزع ملاءة السرير .. وأنزلت جواربها الحريرية فبدت آثار «رباط الجورب» الضيق على فخذيها ثم جذبت الملاءة النظيفة التى كانت تبدو وكأنها قد خرجت لتوها من تحت المكواة .

وبدا له أن مسألة قدسية البيت لها معنى آخر .. وخجل من أن يخلع ملابسه وينام عاريا على هذا السرير المزدوج .. كانت رينا تجلس على طرف الفراش وظهرها اليه ، تخلع جواربها ، بينما كانت الصغرى فى الحمام يسمع صوتها من خلال الباب نصف المفتوح ، وأحس جياكومو بحرارة الجو فسألها أن تفتح النافذة فقالت : بعد أن نطفىء النور ، والا رآنا أحد .

فى نفس اللحظة خرجت لورى من الحمام ، ووقفت أمام المرآة .. ولاحظ هو انها تتأمل نفسها باستغراق كأنها تحدق فى شىء ما ، ثم فكت أزرار ثوبها ببطء وترددت هنيهة قبل أن تخلعه .. وتقف عارية . وبدا ثدياها الممتلئان بعض الشىء متدليين .. لكن طرفيهما نافران .. ومن طريقة اهتزازهما لاحظ هو انهما هكذا بالطبيعة ، وليس بسبب السن ، ثم مرت امامه لتعلق ثوبها على أحد الكراسى ، وبعدها توجهت الى «الجراموفون» الموضوع على منضدة فى أحد الاركان وقالت : فلنسمع شيئا من الموسيقى ، وانحنت لتدير الجهاز .. ونظرت الى جياكومو من خلال شعرها المسترسل نظرة ملؤها الاحساس بالنشوة .. وفى نفس الوقت لاحظ جياكومو ثدييها اللذين لم يتحركا اطلاقا رغم اهتزاز جسدها كله وأثار ذلك الامر دهشته .

وانبعثت موسيقى شعبية ، فتقدمت منه وطلبت اليه أن يراقصها ، ثم أخذا يدوران على الانغام التى ارتفعت أكثر وهنا انطلق صوت رينا تطلب منهما ايقاف الجهاز .. وبدلا من ذلك أخذ جياكومو رفيقته وخرجا الى الردهة .. وكان خوفه قد زال ، وتشجع لمواجهة المغامرة ، ولم يكن هناك شىء يفعله سوى أن يختم الموقف بالنهاية المنطقية .

وبمجرد أن أصبحت رينا و (لورى) أمامه عاريتين تماما ، فكر فى أن ينام الثلاثة معا على السرير ، ورأى أن هذه الفكرة معقولة جدا ، حتى انه اشتاق لتنفيذها ، لكنه كان يتمنى أن ينفرد

بلورى لانه كان يشعر ببعض الحرج من أن يفعل ذلك أمام شقيقتها ، وهم أن يغير خطوات الرقصة الى أخرى يكون فيها أكثر التصاقا بالفتاة ، لكن فى نفس اللحظة توقفت الموسيقى .

ـ هذه حماقة من حماقات رينا .

قالت لورى ذلك ثم انسحبت من بين أحضانه ودخلت حجرة النوم ، وتبعها وهو مستاء .. وكانت رينا تغطى الجهاز فقالت لها أختها ، لماذا أوقفت «الجراموفون» ؟ لقد كنا نرقص .

قلت لك من قبل انى لا أريد احداث أى صوت . ألم يكفك الضجيج الذى أحدثته فى الترام ووضعتنى فى موقف حرج أمام مستر بيكيو ، ولا أعرف كيف أواجهه بعد ذلك .

كانت الاثنتان تقفان فى مواجهة بعضهما .. الصغرى عارية تماما .. والاخرى لاترتدى سوى السروال .

ـ وماذا يعنينى من مستر بيكيو هذا ربما يكون قد خدع فيك ، ولم يعرفك على حقيقتك .. لم يعرف انك تخرجين لاصطياد الرجال .

ـ ولكن ماذا فى ذلك !

ـ انا يهمنى، ومع ذلك فان ماتقولينه غير صحيح ، فأنت التى تصطادين الرجال فى ميلانو .

ـ وماذا تفعلين انت هنا بحق السماء ؟!

ـ دعك مما أفعله ، لكن تذكرى فقط انك مادمت فى بيتى فيجب أن تحسنى التصرف . يكفى انك هذا المساء قد وضعتنى فى موقف مخجل .. ان لبيتى حرمة . ويمكنك عمل ما تريدين هناك فى مصيدتك الخاصة ، لكن أرجوك ألا تفعليه هنا .

ـ حرمة البيت .. هه ؟

ثم اغتصبت ضحكة وامتقع وجهها غضبا وواصلت كلامها : انا لاأود البقاء فى بيتك النجس، يجب أن أذهب حالا .

ـ هيا انصرفى ، فسيسعدنى ذلك ، قالت ذلك فى صوت أقل حدة .

ـ سأذهب حالا ، لاتخافى .

قالتها بغضب ثم انتزعت ثوبها من الكرسى ،واخذت تزرره بسرعة .

ـاذهبى اذن ، لكنها كانت فى نفس الوقت تقاسى من قرار أختها بترك البيت .

ـ سأذهب لكنك لن ترينى ابدا ..

ثم سحبت من خلف الدولاب حقيبة جلدية ، وفتحت أحد الادراج وبدأت تضع ملابسها فيها كيفما اتفق ، فقال جياكومو :

ـ تعالى الآن .. تعالى .. تعالى .

قالت وهى تدفعه : دعنى وحذى .

ـ بقدر ما أنا حزينة ،لكننى أريدك أن تذهبى .

قالت رينا ذلك ، لكن وجهها لم يكن يعبر عما تقول .

ـ لا تخافى ، فأنا ذاهبة عن بيتك القذر .

ـاخرجى اذن ، وبأسرع ما يمكن .

ولم ترد عليها الصغرى فى هذه المرة ، بل انحنت على حقيبتها لتحزمها واستعانت فى ذلك بركبتيها ، ومرت بغضب من بين جياكومو واختها واخذت قبعة مزركشة من الشماعة ، ثم خرجت مسرعة من الحجرة، ونادتها أختها بأسى لكن لم يأت جواب ، بل اهتزت الشقة من صفعة الباب الخارجى الشديدة .. وجلست رينا على حافة الفراش واضعة رأسها بين يديها ، وتطور الامر بسرعة دون أن يفيق جياكومو من اعتقاده بأنه قد نجح فى مغامرته ، ولم يعد أمامه الا أن ينهى الامر بالنهاية السعيدة . . . وكان مازال واثقا فى نفسه كل الثقة ، رغم أن رغباته قدزالت.. وأحس بغصة الفشل وخيبة الأمل . ونظر الى المرأة الجالسة على حافة الفراش فى سروالها الأسود التى كانت منذ لحظات مستعدة لخوض التجربة معه ، لكنه لمح دموعا فى مقلتيها .. وكان صوتها مرتجفا وهى تقول :

لو علمت ما فعلت من أجلها ! حين كانت طفلة صغيرة وانا كنت فى السادسة عشرة .. كنت أعمل لأعولها ماذا كان مصيرها بدونى ؟ لقد صحبتها الى المصايف واشتريت لها الملابس وكل شىء .. وحين كبرت أوجدت لها عملا كموديل .. وطوال هذه السنوات كنت

أحرم نفسى من كل شىء لأرسل اليهـا النقود ، والآن هل ترى كيف تعاملنى ·

وهزت رأسها ونظرت اليه من تحت جفنيها المتدليين ، وضاعت من عينيها تلك النظرة الخليعة·فقال لها «جياكومو» وهو يجذبها لتجلس بجواره : تعالى : تعـالى ·· تعـالى ! ثم أمسـك بيدها وأضاف : لا بد انها ستعود ·

ـ لا ، بل انهـا لن تعـود ، فأنا أعرفها واعرف انهـا لن تعود ـ على الاقل ـ قبل مضى فترة طويلة ، بل فى الحقيقة انها لن تعود على الاطلاق ·

وجذبت منـديلا من تحت الوسـادة وأخذت تنظف أنفها ، وفكر هو فى ان يقترح عليها ان يستمرا وكان شـيئا لم يكن وكان هو يعلم انها ستوافقـه رغم دموعها وحالتها المضطربة ، لكنه تراجع لانه كان يعـرف انهـا سـتأتى بحركات حزينة غير مناسبة ·· ولم يعد أمامه الا ان ينهض ويقول : أعتقد اننى

ـ لن أجبرك على الانتظار، فان حالتى سيئة جـدا ·· هـل رأيت معاملتها الشريرة ·· الناكرة للجميل !

قالت ذلك ، ثم ذهبت الى الردهة ، وتبعها هو · وعلى الباب احتواها بين ذراعيه وقبلها · وردت عليه بقبلة كأنها عرفان بالجميل وقالت له : اننى آسفة جدا ·

ـ دعك من هذا ·

ولمـا خرج «جياكومو» الى الشارع، تلفت حوله ، باحثا بعينيه عن «لورى»، لكنه لم ير الا مسـاحة من الاسفلت الاسود ، وصفين من أعمدة النور ··· والمساكن المظلمة ·

وقال فى نفسه : وهكذا ضاع يوم آخر ·

ثم سار فى اتجاه النور ·